

لوحات محمد هدلا تسافر في بحر طرطوس

دمشق- منذ تخرجه في كلية الفنون الجميلة بدمشق عام 1977، لم يتوقف الفنان التشكيلي السوري محمد هدلا عن البحث في عالم اللوحة الفنية لتكوين عمل ذي هوية بصرية خاصة به شكلا ومحتوى وذات أبعاد حدائيق مبنية على ثقافة محلية وبيئية متوسطة واسعة وعميقة.

ولم يأخذ التفاعل الخلاق للفنان هدلا مع الساحة التشكيلية العالمية بعيدا عن هويته كما جرى مع فنانين آخرين، بل تماهى مع بيئته الساحلية على شواطئ طرطوس التي نشأ فيها وذابت روحه بها مع كل عمل جديد له.

ولعل أجمل وأدق ما قيل في تجربة هذا الفنان ما قاله الناقد التشكيلي أديب مخزوم بان الفنان هدلا "يعتمد على الرسم العقلاني والتفاني في أن معا مبتعدا عن أجواء العبث التشكيلي"، فالفنان هدلا الهادئ الواثق من حركة ريشته وتناغم ألوانه وترتيب خطوطه كرس جل أعماله لإعادة صياغة عمارة طرطوس القديمة والبحر والقوارب والمرأة والمنظر الطبيعي بإحساسه الخاص، مؤظفا كل ذلك توظيفا غنيا برموز وعناصر حضارة ساحلنا الممتدة في عمق التاريخ.

ويصياغتها ضمن تكوينات حديثة أقرب إلى التجريد وربطها مع المركب البحري الذي أصبح علامة مميزة في لوحاته. وعن استخدامه تقنية الكولاج وأهمية ذلك في بناء اللوحة، يبين هدلا أن الفنان يلجأ إلى الكولاج حتى يمنح عمله تقنية مميزة وجمالية خاصة، حيث يتم الابتعاد عن التنفيذ التقليدي، معتبرا أن مميزات الفن الحديث تقوم على التقنية التي تميز الأسلوب الشخصي للفنان وعندما يتم تنفيذ الكولاج جيدا يمكنه أن يدوم.

ويشير هدلا في هذا الصدد إلى اللوحات التكعيبية التي فيها كولاج من ورق الجرائد عمرها الآن نحو مئة عام، وهي موجودة في أهم وأكبر المتاحف العالمية.

ويرى هدلا أن على الفنان التحلي بعدة صفات أولها الاطلاع على أحدث الأساليب الفنية في كل مجالات الفن والتكنولوجيا، وأن يأخذ منها ما يناسبه، فليس كل حديث جيد، وأن يبحث عن التقنية التي تناسب أسلوبه فعصرنا هو عصر التكنولوجيا وبالممارسة المستمرة يمكن أن خلق أسلوب يناسب العصر.

ويصل الفنان إلى جمهوره وفقا لهدلا عندما يكون صادقا في فنه ويعبر عن أحاسيس الناس ويمنحهم الإحساس الجمالي الراقي، معتبرا أن مقولة الفن للفن تعبد الفنان عن الناس ورؤاهم وأحلامهم، لذا لا بد للفنان أن يعمل على الارتقاء بالمستوى الجمالي للمجتمع الموجود فيه.

ورغم ظروف الحرب الصعبة التي تعيشها سوريا والتي انعكست آثارها على كل مناحي الحياة فقد أقام الفنان هدلا معرضين فرديين عامي 2015 و2016 ركز خلالهما على الناحية الجمالية مؤكدا أنه "بالجمال وحده نستطيع أن نجابه الحقد والكراهية والتعصب".

وردا على سؤال يتعلق بالفوارق بين جمهور اللوحة في الغرب وجمهور اللوحة في بلادنا يعتبر هدلا، الذي أقام عدة معارض في عواصم أوروبية، أن جمهور أوروبا يهتم بالناحية الفنية للوحة ويقدرها كثيرا، فهو يناقش الفنان في أدق تفاصيل التكوين والألوان والتعبير والتقنية بينما الجمهور السوري يتفاعل بشكل أكبر مع العمل الفني الذي يعبر عن الواقع لأنه يراه واضحا ومفهوما، باستثناء بعض الفئات التي تشبه جمهور الفن الأوروبي. والفنان محمد هدلا الذي يقترب من عامه السبعين من مواليد طرطوس عمل سنوات طويلة مدرسا وموجهها لمادة الفنون وأقام خلال مسيرته الفنية الطويلة 14 معرضا فرديا في عدد من المدن السورية وفي دول عدة مثل فرنسا وإسبانيا ولبنان وقاز بالجائزة الثالثة لمسابقة مجلة دبي الثقافية عام 2015.

ويوضح هدلا أن أسلوبه يعتمد الواقعية الحديثة بما تمثله من تبسيط الشكل وتناغم الألوان وانسجامها وارتباطها بالموضوع، ففي اللوحات التي تتناول طرطوس القديمة أخذ العناصر المعمارية الجميلة التي تميز هذه المدينة العريقة من أقواس وقباب وقناطر وأدراج ونوافذ مميزة، ثم قام

بقول الفنان "منذ تخرجي في كلية الفنون بدأت البحث عن أسلوب شخصي مرتبط بالبيئة البحرية التي أعيش فيها وتوصلت بعد تجارب متعددة إلى أسلوب خاص بي أصبح معروفا من خلال موضوع طرطوس القديمة المطل على البحر المتوسط والمراكب، مع استخدام تقنية تاسيس اللوحة بالرمل البحري كمادة تعكس البيئة البحرية، وتعتبر عنها".

ويوضح هدلا أن أسلوبه يعتمد الواقعية الحديثة بما تمثله من تبسيط الشكل وتناغم الألوان وانسجامها وارتباطها بالموضوع، ففي اللوحات التي تتناول طرطوس القديمة أخذ العناصر المعمارية الجميلة التي تميز هذه المدينة العريقة من أقواس وقباب وقناطر وأدراج ونوافذ مميزة، ثم قام

ويوضح هدلا أن أسلوبه يعتمد الواقعية الحديثة بما تمثله من تبسيط الشكل وتناغم الألوان وانسجامها وارتباطها بالموضوع، ففي اللوحات التي تتناول طرطوس القديمة أخذ العناصر المعمارية الجميلة التي تميز هذه المدينة العريقة من أقواس وقباب وقناطر وأدراج ونوافذ مميزة، ثم قام

ويوضح هدلا أن أسلوبه يعتمد الواقعية الحديثة بما تمثله من تبسيط الشكل وتناغم الألوان وانسجامها وارتباطها بالموضوع، ففي اللوحات التي تتناول طرطوس القديمة أخذ العناصر المعمارية الجميلة التي تميز هذه المدينة العريقة من أقواس وقباب وقناطر وأدراج ونوافذ مميزة، ثم قام

ويوضح هدلا أن أسلوبه يعتمد الواقعية الحديثة بما تمثله من تبسيط الشكل وتناغم الألوان وانسجامها وارتباطها بالموضوع، ففي اللوحات التي تتناول طرطوس القديمة أخذ العناصر المعمارية الجميلة التي تميز هذه المدينة العريقة من أقواس وقباب وقناطر وأدراج ونوافذ مميزة، ثم قام

ويوضح هدلا أن أسلوبه يعتمد الواقعية الحديثة بما تمثله من تبسيط الشكل وتناغم الألوان وانسجامها وارتباطها بالموضوع، ففي اللوحات التي تتناول طرطوس القديمة أخذ العناصر المعمارية الجميلة التي تميز هذه المدينة العريقة من أقواس وقباب وقناطر وأدراج ونوافذ مميزة، ثم قام

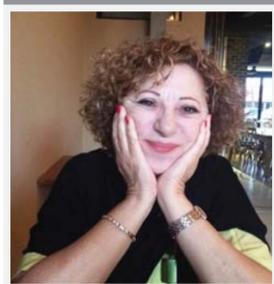
فنانة تستوحي لوحاتها من خلايا الإنسان وتطبعها على الحقائق والكمامات

دلال فرح: الخلايا سر السعادة وتنظيف العقول مقدم على المنازل



الجمع بين العلم والفن

التي اشترتها متحف نيويورك لتكون ضمن مقتنياته، فهي تعلن بوضوح أنها عروس معرض فني تفاعلي تعبيرى للفنانة التي سافرت إلى الكثير من دول العالم، فاكنتسبت من كل الحضارات مزايا وسكبتها على لوحاتها، لتعلن بوضوح أن التأمل يمنح الإنسان سيطرة على العقل، ويامرر أن يكون شقيا أو تعيسا.



دلال فرح
رغم تحذير بعض النقاد من إقامة معارض مستوحاة فقط من الخلايا، إلا أنني أصرت على تبني الفكرة

يتسع جمهور فرح، التي اتخذت من العمل التطوعي رسالة تؤذيها في حياتها بجوار لوحات الخلايا، فهناك شخصيات شهيرة اشترت لوحاتها، فبما منحها جهات علمية جوائز عقب نجاحها في الدمج بين العلم والفن.

وأبدى الفنان المصري الكبير عادل إسماعيل إعجابه بلوحاتها غير التقليدية، عندما قام بالتصوير في سببني باستراليا لأحد أفلامه، بينما كانت الفنانة تمارس عملها تنغمس في رسم لوحات الأولى بعنوان "كل الأرض"، ومستوحاة من كرات الدم الحمراء، والتي لو وضعت في خطلطوقت الأرض، والثانية بعنوان "تنفس مجاني" وهي مستوحاة أيضا من تنفس الإنسان في اليوم الواحد 23 ألف مرة، وتواصل مشوارها مع رسم الخلايا وهي تركز شعارها "صونوا خلاياكم يرحمكم الله".

بفنانين فعلوا ذلك، فأصبح الرسم من وجهة مستهلكا، وتفكر بعد انحسار الجائحة في اختيار منظور غير تقليدي للرسم من وحي كورونا. وظفت الفنانة التشكيلية في لوحاتها الأعضاء الداخلية للإنسان بشكل مبتكر، وظهر ذلك في معرضها الثاني عن الخلايا الذي أقامته مؤخرا في نيويورك، فكانت لوحة "طاقة الزمان" معبرة بشكل جيد عن إيمانها بأن العالم متواصل مع بعضها بالطاقة، ولا يوجد شخص منفصل عن الآخر.

وداعبت فرشاة الألوان قماش اللوحات بشكل متموج عبر عن انسجام مخلوقات الكون كله في دائرة واحدة، مستلهمة ألوان قوس قزح المبهجة، متجاهلة اللون الأسود ويرمز للحداد الذي تكرهه.

وفي لوحة "الأمل" حوت اختلاطا في المواد بين المكس ميديا والإكريلك والزيت، وهي تداعب جزئيات الألوان، ويحتو على الظلال التي تتكاثر في الصورة، لتعلن عن لوحة جديدة تسكن الجدار المقابل بعنوان "جنين"، لتؤكد أن تلك النطفة التي لا يتجاوز عمرها ثلاثة أيام تتكون من 8 خلايا فقط، وتصل في النهاية بحمل 100 تريليون خلية. وفي لوحة أخرى بعنوان "احترم خلاياك" تحترمك" تقرب فرح من المدرسة التجريبية في الفن التشكيلي، والتي تجرد كل ما هو محيط بالواقع، لتعيد صياغته برؤية فنية جديدة تجنح بجنون نحو الخيال كأنها تصرخ "صونوا خلاياكم". أما لوحة "التأمل"

الأول عام 2006 بالأشرفية في لبنان. وتوضح أن البعض من النقاد حذروها من إقامة معارض مستوحاة فقط من الخلايا، فلن يفهمها أحد، ولن تلقى إقبالا من المهتمين بالفن التشكيلي، غير أنها أصرت على تبني فكرة الاهتمام بالخلايا وصياغتها بالتأمل والصبر والرضا. وجاءت لوحات دلال كأنها تزغرد وتتراقص مع الألوان والجزئيات المهججة ذات الألوان الفاقعة، ورسمت من وحي الخلايا الورود والأسماك وحتى البشر، وظهرت جليلة المدرسة الانطباعية التي تقترب منها بتوجس حتى لا تتهم بتقليد أحد، وفي أعماقها يقين بانها خارج المنافسة مع الآخرين.

مدارس فنية

وافقت الفنانة مؤخرا على طبع لوحاتها على الملابس والحقائب النسائية والأوشحة، والأطباق الأكواب، وكمامات الوقاية من الأمراض، على رأسها كوفيد-19، فحققت نجاحا كبيرا واستقطبت جمهورا عريضا غير قادر على شراء اللوحات، فاشترتها في صورة حقيقية أو كمامة طبية.

وأكدت فرح لـ"العرب"، أنها رفضت رسم لوحات من وحي فيروس كورونا نفسه، حيث امتلات الساحة

بفنانين فعلوا ذلك، فأصبح الرسم من وجهة مستهلكا، وتفكر بعد انحسار الجائحة في اختيار منظور غير تقليدي للرسم من وحي كورونا. وظفت الفنانة التشكيلية في لوحاتها الأعضاء الداخلية للإنسان بشكل مبتكر، وظهر ذلك في معرضها الثاني عن الخلايا الذي أقامته مؤخرا في نيويورك، فكانت لوحة "طاقة الزمان" معبرة بشكل جيد عن إيمانها بأن العالم متواصل مع بعضها بالطاقة، ولا يوجد شخص منفصل عن الآخر.

حكم الإنسان العالم، واستطاع أهل الأرض السيطرة على الكثير من روافدها بخلايا أدمغتهم، وهو ما جعل مجدد علم الأعصاب كاجل سانتياغو يحاول قبل أكثر من قرن رد الفضل إلى الخلايا، فمزج عقلانية العلم مع جنون الفن وأبدع لوحات عن خلايا الأعصاب، منها لوحة شجرة الأعصاب. وعلى نهجه تسير الفنانة اللبنانية السورية دلال فرح التي كان لـ"العرب" معها هذا الحوار.



أشرف عزت كاتب مصري

تراكمت فوائد صندوق الخلايا على البشر لسنوات طويلة، ومنذ نحو 15 عاما بدأت مرحلة فنية جديدة عندما أخذت التشكيلية المقيمة في استراليا، دلال فرح، بزمام مبادرة رسم لوحات مستوحاة من الخلايا تحت شعار "اهتم بخلاياك"، باعتبارها سر السعادة والشقاء، على حد قولها في حوارها مع "العرب"، وإذا حفظها الإنسان حفظته، وإذا أهانها أهانته، ولذلك أبدعت العديد من اللوحات في نطاق التأمل من خلال الفن، وطالبت بان يحترم كل فرد خلاياه. وأقامت الفنانة عدة معارض في دبي ونيويورك وباريس عن لوحات الخلايا كمدن متكاملة وآيات ربانية، بعضها بات حاليا ضمن مقتنيات متحف نيويورك، كشاهد عيان على إبداع غير تقليدي لفنانة ولدت من معاناتها لفقدان ابنتها لوحات مستوحاة من عالم الخلايا، وشكلت بصمة خاصة في الفن التشكيلي، وطبعت لوحاتها على ربطات العنق والحقائب، وحتى كمامات الوقاية من فيروس كورونا.

وتقول فرح لـ"العرب"، "وصية ابنتي هي السبب الأساسي لاحترافي الرسم، فقد كانت تشجعني على ممارسته حتى اختطفها القدر فجأة وهي في الثالثة والعشرين من عمرها، لم أستسلم للحزن، واحترفت الرسم ولم احتر في اختيار الخلايا كي استوحي منها رسوماتي، فقد كان صداقائي في العمل الطوعي في استراليا يسألوني كيف أنت، وأجيب الأولى أن تسألوني كيف خلاياك، فهي المسؤولة عن السعادة والشقاء".

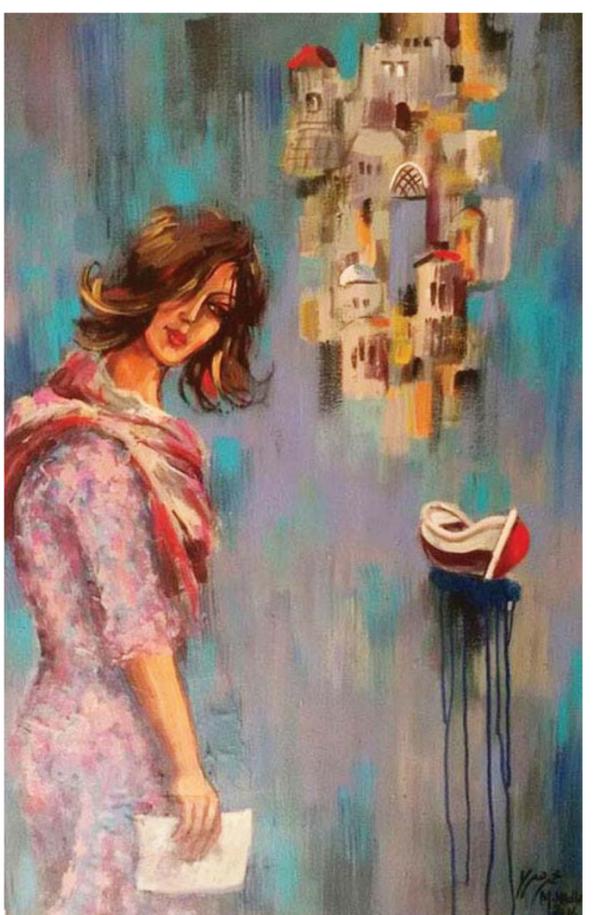
وتضيف "ذات مرة قدمت لي صديقة صورة أبهرتني، فسألناها عن ماهية الصورة فاجابت إنها لخلية عصبية في جسم الإنسان، فالتقطت طرف الخيط بالصدفة وصححت مثل العالم نيوتن (وجدتها)، وقصدت بذلك الرسم من وحي الخلايا".

وبحثت فرح في عالم الخلايا سنوات في معازل العلم وفيديوهات يوتيوب قبل أن تستلهم لوحاتها، حيث كان عالما مجهولا بالنسبة إليها، وعلمت أن الخلية تحتوي على جزئيات الحياة الرئيسية التي تتكون منها الكائنات الحية، وأن عدد خلايا الإنسان تقرب من 37.2 تريليون خلية، وهي عدد خلايا الإنسان دون حساب الميكروبات، والكائنات الدقيقة التي تعيش في الجسم.

ويوجد في جسم الإنسان حوالي 50 مليار خلية دهنية، و2 مليار خلية في عضلة القلب فقط، و35 مليار خلية جلد، ويمكن أن يصل عدد الخلايا إلى 70 تريليون خلية، موزعة على الخلايا بأنواعها الجذعية والجذعية الجنينية والدم والعضلات والدهنية التي تساعد في انسياب التواصل بين الأعصاب والخلايا الجلدية التي تبلغ مساحتها 20 قدما مربعا.

كانت هذه المعلومات مصدرا مهماً للإلهام الفني عند الفنانة دلال فرح، ومن وحيها صاغت رسوماتا تشكيلية ترمز للضعف، وأخرى للانسحاب، وثالثة للقوة، وهكذا، ومن بين ستين ألف فكرة ترد على بال الإنسان يوميا توفقت عند فكرة رسم لوحات من وحي الخلايا، وانطلق معرضها

كانت هذه المعلومات مصدرا مهماً للإلهام الفني عند الفنانة دلال فرح، ومن وحيها صاغت رسوماتا تشكيلية ترمز للضعف، وأخرى للانسحاب، وثالثة للقوة، وهكذا، ومن بين ستين ألف فكرة ترد على بال الإنسان يوميا توفقت عند فكرة رسم لوحات من وحي الخلايا، وانطلق معرضها



لوحات تعتمد الواقعية الحديثة